موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «كشف الشبهات»

الدرس الخامس

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

أخي الطالب إرسالك للأخطاء التي تتخلل التفريغ يسهِّل إخراج نسخة مصححة
attafreegh@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الخامس

[المتن]

- وَتَحَقَّقْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ لِيَكُونَ [الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ، وَ]الدُّعَاءُ كُلُّهُ لِلهِ، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ لِلهِ، وَالذَّبْحُ كُلُّهُ لِلهِ، وَالاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا بِاللهِ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ كُلُّهَا لِلهِ.

- وَعَرَفْتَ أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُم فِي الإِسْلَامِ.

- وَأَنَّ قَصْدَهُمُ المَلائِكَةَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ أَوِ الأَوْلِيَاءَ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ وَالتَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ بِذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ.

=عَرَفْتَ حِينَئِذٍ التَّوحِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾ يدَ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأَبَى عَنِ الإِقْرَارِ بِهِ المُشْرِكُونَ.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي بعث رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله وكفىٰ بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله ﷺ تسليما مزيدا.

أما بعد..

فأسأل الله جل وعلا لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح والخاتمة الحسنة.

هٰذا الكتاب -وهو «كتاب كشف الشبهات» لإمام هٰذه الدعوة الإمام المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وأجزل له المثوبة- معقودٌ لبيان الشبهات التي احتج بها أعداء الدعوة علىٰ الإمام فيما أوردوه، وقد بينتُ لكم فيما سلف أن تلك الاحتجاجات وذلك العلم الذي عند المشركين احتجاجات باطلة وعلم غير نافع؛ لأنّ الله جل وعلا بيّن أن مجادلة أولئك إنما هي عليهم كما قال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[الشورىٰ:١٦]، فلو سمَّوها حججا ولو سمَّوا ما عندهم أدلة وبراهين، فإنها حجج داحضة وأدلة راجعة بالإبطال علىٰ مقالهم، وبراهين لا تستقيم لهم إلا بما عندهم من الفساد في التصور أو الفساد في التعلُّق بغير الله جل وعلا.

كذلك ذكرنا أن من أعظم السبل التي يبين لك بها دين المرسلين عليهم صلوات الله وسلامه أنْ تعلم حال أهل الجاهلية قبل بعثة الرسول ﷺ، فإن حال أهل الجاهلية معروف بيّن، وطريق معرفته ما جاء في

القرآن من وصف مقالهم ووصف فعالهم ووصف اعتقاداتهم ووصف أحوالهم، فهٰذا فيه تقريرٌ للحال التي كانوا عليها، كذلك من سُبل معرفة ما كانوا عليه من الأحوال والاعتقادات الباطلة معرفة أشعار العرب؛ لأن فيها ما كانوا عليه، ومن سُبل ذلك معرفة قَصص العرب والتاريخ الذي نقله المؤرخون عنهم.

ومن الأمر المقرَّر الواضح في الكتاب والسنة عن حال المشركين من أهل الجاهلية وممَّا بينه المؤرِّخون بما هو واضح أنّ أولئك الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ كانوا يعبدون الله جل جلاله وكانوا يصلُّون وكانوا يتصدَّقون وكانوا يحجون البيت ويعتمرون، وكانوا يتنزَّهون من بعض النجاسات وكانوا يغتسلون من الجنابة كما سبق أن ذكرتُ لكم أدلة هٰذه الجملة مفصلة في أول الشرح عند قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أوَّل الرسالة: (وَآخِرُ الرُّسُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ الَّذِي كَسَّرَ صُوَرَ هَؤُلاَءِ الصَّالِحِينَ، أَرْسَلَهُ اللهُ إِلىٰ قوم يَتَعَبَّدُونَ وَيَحُجُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَيَذْكُرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ بَعْضَ المَخْلُوقِينَ وَسَائِطَ بَيْنَهم وبَيْنَ اللهِ، يَقُولونَ: نُرِيدُ مِنْهُمُ التَّقَرُّبَ إِلىٰ اللهِ).

إذن فمدار الصواب في العبادة أنْ لا يُعبد إلا الله الملك الحق المبين، وأنّ دعوة غيره باطلة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾[الحج]، وإقرار المشركين بأن لهم ربا خالقا رازقا ويقولون: ما شاء الله، ويقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله، وما شاكل ذلك الكلام، ويدعون ويتصدقون ويحجون ويعتمرون، لم يجعلهم ذلك مسلمين بل كانوا مشركين؛ لأنهم لم يوحّدوا الله جل وعلا في العبادة، وهو الذي نقول: إن معناه لم يفردوا الله بأفعالهم التي يتقربون بها يرجون الثواب ويخافون بها العقاب، وإنما توجهوا بها إلىٰ آلهتهم المختلفة، ولما جاءهم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام وبيّن لهم الدِّين، وبيّن لهم توحيد الإلهية لم يُنكروا أحقية الله جل وعلا بالعبادة، ولكن أنكروا إبطال استحقاق تلك الآلهة بشيءٍ من العبادة، كما قال جل وعلا عنهم في سورة الصَّافات: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾، وقال جل وعلا في سورة ص: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾.

إذن هٰذه القاعدة هي أعظمُ ما به تكون المقدِّمة لردّ أي شبهة يحتج بها المشركون ويحتج بها علماء المشركين في التعلُّق بغير الله جل وعلا بأي نوع من التعلقات، فإنهم استعظموا أن يكون الذين يعبدون الموتىٰ ويعمرون المشاهد بالذبح والنذر للأموات وما أشبه ذلك، يستبعدون بل يتعاظمون أن يكون أولئك مشركين، وإذا قلت لهم: لم؟ قالوا: لأنهم يذكرون الله ويصلون، وهم إنما أرادوا بذلك الله جل وعلا، اتخذوا هؤلاء واسطة فقط، ولم يريدوا الاستقلالية، وإلا فإنهم يعلمون أن الرازق علىٰ الحقيقة هو الله، ولكن هؤلاء الأموات واسطة.

فهٰذه المقدمة من كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وما ذكرتُ لك من بيانها تُبين لك أن هٰذه الحجة من المشركين هي الحجة التي سلفت، فهي احتجاجُ قوم نوح علىٰ نوح، وهي احتجاج أقوام المرسلين علىٰ المرسلين، وهي احتجاج قريش والعرب علىٰ محمد ﷺ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر:٣].

إذا عرفتَ أنهم أرادوا الواسطة، عرفتَ أنهم كانوا مُقرِّين بتوحيد الربوبية، مُقرِّين بأنه لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله ولا يحيي ولا يميت إلا الله جل جلاله، وأنهم كانوا يذكرون الله ويتعبَّدون ويصلون الصلاة علىٰ حسبها ويحجون ويعظمون البيت، وربما كان من بعضهم إخبات وإنابة، لكن لما لم يكونوا مُفردين الله جل وعلا بالعبادة قاتلهم محمّد ﷺ.

إذن فالعبرة في تحقيق كلمة التَّوحيد (لا إلٰه إلا الله)، ومشركو العرب يعلمون معنىٰ هٰذه الكلمة، ولهٰذا لما قال النبي ﷺ لهم: قولوا كلمة، كلمة واحدة قولوا كلمة واحدة، فقالوا: نقول وربك عشر كلمات. قال: «**قولوا: لا إله إلا الله**». فأبوا؛ لأنهم يعلمون أن هٰذه الكلمة إذا قالوها وشهدوا بها أنّ فيها إبطال كل التعلقات بالآلهة؛ لأنه معنىٰ (لا إله إلا الله): لا معبود حق إلا الله جل جلاله. ومعنىٰ ذلك أنّ كل من عَبد غير الله جل وعلا فإنما عُبد بغير الحق عبد بالبغي بالظلم بالعدوان من الناس علىٰ حق الله جل جلاله.

لهٰذا لما ذكر الشيخ هٰذه المقدمات قال في هٰذا المقطع الذي وقفنا عنده: (وَتَحَقَّقْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ لِيَكُونَ [الدِّينُ كُلُّهُ للهِ، وَ]الدُّعَاءُ كُلُّهُ للهِ، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ للهِ، وَالذَّبْحُ كُلُّهُ للهِ، وَالاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا بِاللهِ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ كُلُّها للهِ) هٰذا من جهة التمثيل مثّل بالنذر والذبح والاستغاثة؛ لأن الشرك بالله جل وعلا في هٰذه الأشياء كان أكثر شيوعا في زمن إمام الدعوة رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، وإلا فإنّ أصناف شرك المشركين وصرفهم العبادة لغير الله جل وعلا كثيرة، ويجمعها قوله في آخر الكلام (وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ كُلُّها للهِ. وَعَرَفْتَ أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُم فِي الإِسْلَامِ.) هٰذا احتجاجهم؛ أننا موحدون لله، لا نقول: إن ثم رازق إلا الله، وليس ثم محيي إلا الله، نحن مؤمنون بالله بأنه يرزق ويخلق ويعطي وأنه يجيب دعوة المضطر وأنه وأنه، لكنهم لم يُبطلوا الوسائط، لم يبطلوا قصد غير الله جل وعلا بالعبادة، ولهٰذا قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾[يوسف]، قال السلف في تفسيرها لهٰذه الآية في آخر سورة يوسف معنىٰ قوله: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ يعني وما يؤمن أكثرهم بالله بأنه هو المتفرد بالخلق والرَّزق والإحياء والإماتة إلا وهم مشركون به في العبادة، فقد جمعوا إيمانا وشركا، فلا تتصور أنّ المشرك الذي يُحكَم عليه بأنه مشرك أنه خِلْوُ الوثاق وخلو القلب من الإيمان بالله أصلا، هٰذا لا يتصور، وإلا لكان المشرك إنما هو الذي يجحد كل أنواع الإيمان يعني الذي يجحد الربوبية ويجحد وجود الله جل وعلا، وهٰذا ليس هو الذي احتجَّ القرآنُ علىٰ أصحابه، بل القرآن فيه إقامة الحجج علىٰ أن

الله جل وعلا واحدٌ وأنّه هو المستحقُّ للعبادة وحده دون ما سواه، ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾ إلىٰ آخر الآيات في سورة النمل، وفي كل آية ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠﴾ [النمل]، ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١﴾[النمل] إلىٰ آخر ذلك.

فإذن نسأل ونقول: بم صار أولئك مشركين؟ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هنا: (وَأَنَّ قَصْدَهُمُ المَلائِكَةَ أوِ الأَنْبِياءَ أوِ الأَوْلِياءَ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ وَالتَّقَرُّبَ إِلىٰ اللهِ بِذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ.) يعني أنّ سبب كفر المشركين وسبب الحكم عليهم بأنهم كفار مشركون حلَّت دماؤهم وحلت أموالهم هٰذه الأشياء، قصد غير الله جل وعلا، قصد الملائكة، قصد الأنبياء، قصد الأولياء.

أما **قصد الملائكة** فإنهم كانوا يقصدون الملائكة بطلب الحاجات، كما قال جل وعلا في آخر سورة سبأ عنهم: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١﴾ فكانت الملائكة تُعبد، لكن في الحقيقة الذي عبد هم الجن لأنهم طلبوا من الملائكة والذي أجابهم بطلبهم الجن ليبقوا علىٰ الشرك.

وكذلك **الأنبياء** سُئلت الأنبياء في قبورها واستغيث بها وذبح لها ونذر ومن سئل ربما أجيب سؤاله، وإجابة السؤال من جهة الجن، فيكون الجن ربما أحضر شياطين الجن؛ أحضر لذلك السائل بعض الأشياء أو عرفه ببعض الأشياء لتقع المصيبة وهٰذا في أكثر الأحوال.

وإلا فإنه من المقرر أن إجابة الدعاء من فروع الربوبية وليس من فروع الإلهية؛ لأنّ المشرك قد يدعو الله جل وعلا ويستجيب الله جل وعلا لدعائه كما قال ﷻ: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ ٦٥﴾[العنكبوت]، فإجابة الدعاء من جنس إعطاء الرِّزق، من جنس إعطاء المآكل والمشارب والأولاد، فإنه قد يدعو الكافر ويستجاب له؛ لأن إجابة الدُّعاء ليست خاصة بإجابة المسلم؛ بل هٰذا عدو الله إبليس سأل الله وقد أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين أن يؤخِّره إلىٰ يوم الدين فأجاب الله دعاءه وسؤاله فأخَّره.

فإذن هنا حينما يسأل نبي من الأنبياء أو يسأل ولي من الأولياء عند القبر فيُجاب السؤال أو يحصل له ما طلب، فسبب حصول ما طلب أحد شيئين:

الأول: أن يكون شياطين الجن أحضرت له ما طلب، أو كان ثم سبب فأزالته الجن؛ يعني بسبب من جهة الجن إما امرأة ما تحمل بسبب شياطين الجن، أو شيء مفقود كان بسبب شياطين الجن، أو نحو ذلك، أو أراد أن يكلم هٰذا الميت فكلمه شيطان، وما أشبه ذلك؛ يعني مما تقدر عليه الجن هٰذا نوع.

والنوع الثاني: أن يكون سأل متوسطا بصاحب القبر لكنه قام بقلبه حين السؤال اضطرار وحاجة ملحة فأجاب الله جل وعلا السؤال لأجل الاضطرار، والله جل وعلا أطلق إجابة المضطر فقال سبحانه: ﴿أَمَّن

﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[النمل:٦٢]، فالمشرك إذا كان مضطرا يجاب، ولو كان في سؤاله بعض الشرك؛ لأنه يكون هنا غلب عليه جهة الاضطرار.

ولهٰذا حقق العلماء أنّ إجابة سؤال المشرك عند القبر ليس السّر فيه القبر كما يقوله المشركون، وإنما يكون ثَم شيء آخر إما جهة شياطين الجن وإما أمر آخر قام بالقلب منه مثلا الاضطرار وإنزال الحاجة والانكسار بين يدي الله جل وعلا، فيظن الظان أن سبب إجابة الدعاء بركة القبر، وإنما هو من جهة ما قام بالقلب من الاضطرار؛ لأن إجابة الدعاء من فروع الربوبية، والربوبية ليست خاصة لمسلم دون كافر، إعطاء الأرزاق ليس خاصًّا بالموحدين، بل يعطي الله جل وعلا الجميع كما قال جل وعلا في جواب سؤال إبراهيم قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾[البقرة].

قال: (وَأَنَّ قَصْدَهُمُ المَلائِكَةَ أوِ الأَنْبياءَ) الأنبياء قصدتها العرب وقصدها المشركون من أهل الملل، عُبد موسىٰ، وعُبد عزير، وعُبد المسيح من دون الله جل وعلا، وقُصد أولئك لأجل الوساطة، لأجل التقرب إلىٰ الله جل وعلا بهم، فصار من قصدهم مشركا حلال الدم والمال لا لأنه طلب منهم استقلالا ولكن لأنه طلب منهم بالوساطة.

قال: (أوِ الأَوْلِياءَ) والأولياء أُشرك بهم كما قال جل وعلا ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾[النجم].

قصدوا هؤلاء الملائكة والأنبياء والأولياء، يريدون ماذا؟ هل قصدوهم يعني العرب يريدون أن يُجيب هؤلاء استقلالًا؟ أم قصدوا أولئك بالعبادة يريدون الوساطة، يريدون الزلفىٰ، يريدون الشفاعة؟ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هنا: (يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ وَالتَّقَرُّبَ إِلىٰ اللهِ بِذَلكَ).

إذن فشرك الأولين من جهة الوساطة، شرك قوم نوح من جهة التوسط بالصالحين، وشرك قوم إبراهيم من جهة التوسط بما زعموه رَوحانية للكواكب، وشرك العرب فيه هٰذا وفيه هٰذا وإن كان الغالب عليه أنه شرك بالصالحين.

قال: (هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ.) إذن مع كونهم يُقرون بالربوبية، ومع كونهم يتعبدون ولهم أذكار ونحو ذلك، لكن لما قصدوا غير الله بالعبادة ولو كان علىٰ جهة التوسط، فإن ذلك أحل دماءهم وأموالهم؛ لأنّ عندنا مقدمة يقينية ونتيجة متيقنة:

المقدمة اليقينية الأولىٰ: أنهم قصدوا الملائكة والأنبياء والأولياء، هٰذا بيقين من القرآن، ومن حال العرب.

المقدمة الثانية: أنهم قصدوا الملائكة والأنبياء والأولياء وغير هٰذه الأشياء، يريدون التقرب إلىٰ الله زلفىٰ، ولا يريدون الاستقلال؛ لا يريدون الطلب علىٰ جهة الاستقلال، وإنما أرادوا الطلب علىٰ جهة التوسط.

فهٰذه المقدمة الأولىٰ يقينية، والثانية أيضا يقينية، لقول الله جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]. قد ذكرت لكم أن قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ هٰذا حصر العلة في عبادتهم لإنتاج المعلول وهو التقرب إلىٰ الله زلفىٰ؛ يعني أنه ما توجهوا لهم لأجلهم لذاتهم، ولكن لأجل أن يوصلوهم إلىٰ الله جل وعلا. فهاتان المقدمتان يقينيتان.

والنتيجة أيضا يقينية: وهو أن دمائهم حلّت وأموالهم حلّت للنبي ﷺ ولأصحابه بإحلال الله جل وعلا ذلك له؛ وأن سبب الحِلّ، سبب جعل هٰذه الأشياء حلالا هو شركهم بالله جل جلاله.

قال بعد ذلك: (عَرَفْتَ حِينَئِذٍ التَّوحِيدَ الَّذي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأَبىٰ عَنِ الإِقْرَارِ بِهِ المُشْرِكُونَ) وهٰذه النتيجة من دخلت إلىٰ قلبه بالبراهين السابقة فقد أوتي حظا عظيما؛ لأن الشبهة إذا تكسرت في البداية فما بعدها أهون أن يتقرر ما ذكرنا وأن يُبطل استبعاد شرك المشرك لأجل أنه يصلي أو يزكي أو يحج أو يعتمر أو أنه يذكر الله أوْ أو إلىٰ آخره.

إذن مدار الحكم بالشرك واضح؛ وهو صرْف العبادة أو صرف شيء من العبادة لغير الله جل جلاله، فمن أتىٰ به فهو حابط العمل مشرك ولو كان أرفع الخلق، ولهٰذا قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ للنبي ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الزمر]، ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ولو كان سيد الخلق؛ لأن مقام الخالق جل وعلا مقام الرب العظيم أعظم وأعظم وأعظم، وحقه أعظم من أن يحابىٰ فيه لأجل إنسان كائنًا من كان، قال: ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ يعني وحده دونما سواه ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، ونحو هٰذا في غير هٰذه الآية.

فإذن إذا صرف أحد العبادة أو صرف شيئا من العبادة لغير الله فهو مشرك، وعمله حابط ولو كان أثر السجود في وجهه؛ لأنه أشرك، وليس المدار هنا موازنة أشرك بشيء وتعبد بشيء، ولو كان في الموازنة هنا قائمة بين السيئات والحسنات كما في حال الموحّد فإنّها يكون ثم موازنة في حال المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ لم يقبل من مشرك صرفا ولا عدلا، لم يقبل منهم إلا التوحيد، إلا أن يأتي بـ(لا إله إلا الله) التي يعلمون معناها.

إذن بهٰذه المقدمة إلىٰ هنا يسهل الدخول إلىٰ ما بعده في الكتاب، وأنّ التوحيد هو أعظم المهمّات وأعظم الواجبات وأول واجب وآخر واجب، وأنّ من صرف شيئا من العبادة لغير الله فإنه حابط العمل

ولو كان ما كان في عمله، هٰذه إذا دخلت في القلب ولم يكن في القلب تردّد لأجلها، صار إبطال أي شبهة احتج بها المشركون راجعًا إلىٰ هٰذا المحكم.

ولهٰذا يقرر الشيخ بعد ذلك أن ما ذكرنا من وصف حال المشركين والمقدمات هٰذه والنتيجة اليقينية - المقدمات اليقينية والنتيجة اليقينية-، أنّ هٰذا محكم إذا احتج أحد من المشركين بحديث أو بآية وأوَّلها علىٰ غير تأويلها فلك أن ترجع إلىٰ هٰذا المحكم وأن تترك ما اشتبه عليك علمه؛ لأن هٰذا يقيني كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالىٰ.

فهٰذه المقدمة مهمة للغاية، وهي أساس مُحكم يمكن أنْ تحتج به في أي مقام علىٰ من عاند وأشرك بالله جل وعلا أو حسّن الشرك أو لم يكفر بالطاغوت.

وَهٰذا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعنىٰ قَوْلِكَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ الإِلٰهَ عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ لأَجْلِ هٰذه الأُمُورِ سَوَاءٌ كَانَ مَلَكًا، أَوْ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْرًا، أَوْ جِنِّيًّا. لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ الإِلٰهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ للهِ وَحْدَهُ كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ، وَإِنَّما يَعْنُونَ بِالإِلٰهِ مَا يَعْنِي بِهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ السَّيِّدِ، فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلىٰ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَهِيَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ. وَالمُرَادُ مِنْ هٰذه الكَلِمَةِ مَعْنَاهَا، لَا مُجَرَّدُ لَفْظِها. وَالكُفَّارُ الجُهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهٰذه الكَلِمَةِ هُوَ إِفْرَادُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالتَّعَلُّقِ، وَالكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ وَالبَرَاءَةُ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُمْ: قُولُوا: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[ص].

فَإِذا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَّالَ الكُفَّارِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ؛ فَالعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلامَ وَهُوَ لا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هٰذه الكَلِمَةِ مَا عَرَفَ جُهَّالُ الكُفَّارِ، بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِها مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ القَلْبِ لِشَيْءٍ مِنَ المَعَانِي، وَالحَاذِقُ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَاها: لَا يَخْلُقُ وَلا يَرْزُقُ وَلا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ. فَلا خَيْرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَعْنىٰ لَا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَهٰذا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعنىٰ قَوْلِكَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ) هٰذا التوحيد الذي سبق بيانه وهو إفراد الله جل وعلا بالقصد بالذبح بالنذر بالاستغاثة بجميع أنواع العبادة، هٰذا هو التوحيد، وهو معنىٰ (لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ)؛ لأن كلمة (لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ) مشتملة علىٰ نفي وعلىٰ إثبات:

- النفي بـ(لا).
- والإثبات بـ(إلا).

والذي نُفي بـ(لا) هو استحقاق العبادة، أو أن يكون ثَم إله حق غير الله جل وعلا، فـ(لا إله إلا الله) معناها لا معبود حق إلا الله؛ لأن كلمة إله هٰذه معناها معبود، وهٰذا هو المعروف في العربية وهو المعروف بحال العرب أيضا؛ لأن (إلٰه) هٰذه فعال بمعنىٰ مفعول، مثل فراش بمعنىٰ مفروش وأشباه ذلك، وبناء بمعنىٰ مبني، فـ(إلٰه) بمعنىٰ مألوه، وأله يأله إلهة معناها عبد يعبد عبادة مع الحب والتعظيم.

فإذن يكون معنىٰ الألوهية العبودية، ومعنىٰ توحيد الألوهية توحيد العبودية، توحيد الإلهية توحيد العبادة، يكون معنىٰ الإله المعبود.

ولهٰذا اسم الله الذي ترجع إليه أو تجتمع فيه صفات الكمال الله هٰذا معناه المعبود الحق، قال بعضهم الله علم علىٰ المعبود بحق، فالله أصلها الإله -علىٰ الصحيح- لأنها مشتقة، وإنما أُطلق عليها يعني خففت الهمزة في الإله فصارت الله لكثرة دعائه ورجائه والتوسل إليه باسمه هٰذا، ونحو ذلك.

المقصود أنّ كلمة (لا إله) هٰذه فيها العبودية وهٰذا هو المتقرر في العربية وفي القرآن كما قال جل وعلا في سورة النمل فيما ذكرنا: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾(١) يعني أمعبود مع الله؟ لأنهم إنما جعلوا معبودا مع الله ولم يجعلوا ربا مع الله جل جلاله، ومن ذلك ما جاء في قراءة ابن عباس المشهورة في سورة الأعراف ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾[الأعراف:١٢٧] يعني وعبادتك، ومنه أيضا قول الراجز في شعر ذكرناه لكم مرارا:

لله درّ الغانيات المُدّهِ سبّحن واسترجعن من تألهي

يعني من عبادتي، فالتأله وأله يأله والإلهة والألوهة إلىٰ ما يُشتق من هٰذا المصدر هٰذا كله راجع إلىٰ معنىٰ التعبد العبادة.

فإذن هٰذه المادة مادة العبادة، وليست مادة للسيادة والتصرف في الأمر، وهٰذا هو المعروف عند العرب، وهو المعروف عند الصحابة والتابعين، إلىٰ أن تُرجمت كتب اليونان، وصار هناك خلط بين ما جاءت به الشريعة وما في علوم اليونان.

فالذين ترجموا هٰذه الكتب، قرأها من قرأها، وجعلوا القصد الأعظم أن ينظر المرء في هٰذا الملكوت ويثبت ربوبية الله جل وعلا، لهٰذا قالوا المقصود الأول هو الربوبية، فإذا أثبت المرء بالنظر أنّ الله جل وعلا هو الموجب لهٰذا الملكوت صار مقرا ومؤمنا، فالمتكلمون حين تأثروا باليونان في مدارسهم في النظر وفي الفلسفة جعلوا معنىٰ الإله راجع للربوبية، والمتكلمون في ذلك علىٰ قولين:

- **منهم من يقول**: الإله هو القادر علىٰ الاختراع، وهٰذا في كثير في كتب المتكلمين.
- **ومنهم من يقول**: الإله هو المستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه.

والأول والثاني وكل منهما قول لطائفة من المتكلمين والأشاعرة والماتريدية إلىٰ غير هٰذه الفئات، فعلىٰ كل قول منها يكون الإله مفسَّر بالربوبية؛ لأن القادر علىٰ الاختراع، القدرة علىٰ الخلق هٰذه ربوبية، والمستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه، هٰذه أيضا ربوبية، فهي من صفات الربوبية لا من صفات الألوهية.

لَمّا حصل هٰذا في المسلمين وتدوّل هٰذا القول، صار معنىٰ الإيمان عند أولئك ألا يقر بوجود رَبَّيْنِ، ويعبرون عن ذلك ألا يقر بوجود إلهين، ولهٰذا في آية سورة الأنبياء ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢] يجعلون هٰذه الآية دليلا علىٰ إثبات تفرد الله جل وعلا بالربوبية، فيقولون هٰذه الآية هي دليل التمانع، ومعنىٰ ذلك عندهم أن وجود إلهين يقتضي أن يتصرف هٰذا في ملكوته؛ وأن يتصرف هٰذا في جزء من الملكوت وهٰذا في جزء من الملكوت، ولابد أن يحصل تمانع لا بد أن يحصل

---

(١) سورة: النمل، الآيات (٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤).

اضطراب؛ لأن هٰذا له إرادة وهٰذا له إرادة، وجعلوا الإله هنا هو الرب في نفسه، ولهٰذا جعلوها دليلا علىٰ توحيد الربوبية الذي هو الغاية عندهم، فدخل هٰذا في المسلمين، ولما دخل وتوسع الناس في اتباع مذهب الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة وطُرق المتكلمين صارت الغاية عندهم هي توحيد الربوبية، فلهٰذا لم يصر أولئك عندهم مشركين. هٰذه أعظم فتنة حصلت في الصدّ عن لا إله إلا الله وتفسيرُها بتوحيد الربوبية.

ولهٰذا تجد في عقائد الأشاعرة كما في «السنوسية الكبرىٰ» المسماة عندهم (بأم البراهين) يقول فيها ما ذكرتهم لكم قبل ذلك يقول: الإله هو المستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه. فمعنىٰ لا إله إلا الله لا مستغنيا عما سواه ولا مفتقرا إليه كل ما عداه إلا الله، هٰذا التفسير وهٰذه الكلمة علىٰ هٰذا النحو ليست هي كلمة لا إله إلا الله، إنما هي كلمة لا رب في الوجود إلا الله، والإله غير الرب، الألوهية مادة والربوبية مادة، ولهٰذا صاغ نعت اسم الله برب العالمين في قوله جل وعلا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] ولو كانت الربوبية هي الألوهية أو كانت الألوهية هي الربوبية هي الألوهية لكان نعتا للشيء في نفسه، وهٰذا زيادة في الكلام ينزه عنها القرآن.

المقصود من ذلك أن معنىٰ الإلهية عند المتكلمين ومن نحا نحوهم هو الربوبية، ولهٰذا دعا المشركون وعلماء المشركين إلىٰ التوسط بهؤلاء الأموات بأنّ هٰذا لا يقدح في التوحيد؛ لأن التوحيد عندهم هو الربوبية، فالقاعدة التي بُني عليها استحسان الشرك والتساهل فيه هو الخلاف في تفسير كلمة التوحيد، وذلك لأنهم جعلوا كلمة التوحيد معناها القدرة علىٰ الاختراع وأنه لا قادر علىٰ الاختراع وعلىٰ الخلق إلا الله جل وعلا، وهٰذا يؤمن به أبو جهل وأبو لهب وكلّ من قاتلهم النبي عليه الصلاة والسلام.

لهٰذا قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (وَهٰذا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعنىٰ قَوْلِكَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ) يعني الذي سبق ذكره قبل ذلك، (فَإِنَّ الإِلٰهَ عِنْدَهُمْ) يعني عند العرب (هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ لأَجْلِ هٰذه الأُمُورِ سَوَاءٌ كَانَ مَلَكًا، أَوْ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْرًا، أَوْ جِنِّيًّا. لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ الإِلٰهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ للهِ وَحْدَهُ) وهٰذا بيقين؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾[الزخرف]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٣٨] الآية، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾[يونس:٣١].

---

(١) سورة: الفاتحة، الآية (٢)، يونس، الآية (١٠)، الزمر، الآية (٧٥)، غافر، الآية (٦٥).

فإذن كل مفردات أو نقول جل مفردات الربوبية نسبوها لله جل وعلا وحده ولم يجعلوا لآلهتهم منها شيئا، لم يجعلوا لآلهتهم شيئا، ولهٰذا إذا ركبوا في الفلك دعوا الله وحده لأنهم يعلمون أن هٰذا المطلب العظيم إنما يستقل به الله وحده ولا يحب إلا أن يكون إلا الإقبال عليه وحده فيه، ولأن آلهتهم بَعُدت عنهم، وهٰذا مخالف لقول المتكلمين ومن نحا نحوهم: إنّ (لا إله إلا الله) هي لا قادر علىٰ الاختراع إلا الله. لأن أولئك لم يشكُّوا في أن هٰذه الكلمة يعني بأن العرب لم يشكوا في أن هٰذه الكلمة إنما جاءت للألوهية لا للقدرة علىٰ الاختراع، وإلا لقالوا نحن نؤمن بهٰذا، ولكن قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص:٥] فهٰذا بيقين.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ الإِلَهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ فإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ للهِ وَحْدَهُ كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ، وَإِنَّما يَعْنُونَ بِالإِلَهِ مَا يَعْني [بِهِ] المُشْرِكُونَ في زَمَانِنَا بِلَفْظِ السَّيِّدِ)، (السَّيِّد) في لغة العرب هو المتصرف المطاع في ملكه، المتصرف المطاع في ملكه، والسيادة تختلف مثل الرب، فتكون مضافة هٰذا سيد فلان، سيد البيت، وهٰذا سيد القبيلة وهٰذا رب الإبل، وهٰذا رب المال وأشباه ذلك، فلفظ السيد هو بمعنىٰ لفظ الرب مع اختلاف بينهما.

فمعنىٰ السيد في لغة العرب المتصرف الذي يدبر الأمر ويرجع إليه تدبير ما يملك، هٰذا هو السيد له السيادة في الملكوت، له السيادة في ملكه.

لكن في العُرف الذي عليه الناس في زمن الشيخ وما قبله إلىٰ وقتنا هٰذا أُطلق لفظ السيد علىٰ خلاف معناه في العربية، ويُراد بالسيد الذي بيده التوسُّط أو بيده الإعطاء والمنع أو الذي فيه السر، ولهٰذا يستعملون في السادة الذين يقصدون لأجل العبادات والتوسط يقولون فيهم: قدس الله سر فلان، فلان قدس الله سره؛ لأنهم يجعلون لروحه سرا، ويطلقون علىٰ هؤلاء لفظ السيد، فمثلا السيد البدوي، السيدة زينب، السيد الحسين، السيد العيدروس، السيد المرغني، السيد فلان، السيد فلان، السيد عبد القادر الجيلاني وأشابه هٰذا.

فيطلقون علىٰ الإله لفظ السيد، الإله في العربية الذي ذكرنا عند الناس في هٰذا الزمان وزمن الشيخ هو ما يسمونه بالسيد، ومن المتقرر أن العبرة بالحقائق لا بالألفاظ، العبرة كما حرّره وقرره وهو معروف لكن أطال عليه في هٰذا الموضع الشوكاني والصنعاني قالوا: إنّ تغير الأسماء ومدلولاتها لا يغير الحقائق فإنهم إذا سموا السيد، سموا هؤلاء بالسيد وعنوا بالسيد الإله فإنهم يحاسبون علىٰ ما قصدوا لا علىٰ أصل اللفظ الذي لم يخطر لهم علىٰ بال أو لم يعنوه.

فإذن كلمة السيد يراد منها الإله، يراد منها ما يُفهم من معنىٰ كلمة الإله عند أهل العربية، لهٰذا قال هنا: (إِنَّما يَعْنُونَ بِالإِلَهِ مَا يَعْني بِهِ المُشْرِكُونَ في زَمَانِنَا بِلَفْظِ السَّيِّدِ) من هو السيد؟ الذي يُقصد لأجل

التوسط عند الله؛ بل زاد بعضهم وجعل لهؤلاء السادة نصيبا في الملك من جهة التفويض، فيقولون: هناك أوتاد في الأرض أُعطوا بعض التصرف في الملك؛ في الملك، وبعد الأوتاد هناك أقطاب لهم تصرف، هؤلاء يرجعون إليهم، والأقطاب ترجع إلىٰ الغوث الأكبر في البلد، والأرض قسموها قسمة رباعية وجعلوا لها أربعة أشخاص هم الملاذ والغوث الأعظم، ففي قسم البدوي، وفي قسم عبد القادر وفي قسم فلان وفلان؛ يعني أنهم زادوا علىٰ شرك العرب في أن جعلوا لهؤلاء تصرفا في الملك، وهٰذا شرك في الربوبية مع كونه شركا في الإلهية.

قال: (فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلىٰ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَهِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. وَالـمُرَادُ مِنْ هٰذه الكَلِمَةِ مَعْنَاها، لَا مُجَرَّدُ لَفْظِها.) قوله: (وَالـمُرَادُ مِنْ هٰذه الكَلِمَةِ مَعْنَاها، لَا مُجَرَّدُ لَفْظِها) لأن الإجماع منعقد علىٰ أن من بَلَغَ مجنونا فقال: (لا إله إلا الله) فإنه لا يحكم له بالإسلام؛ يعني إذا كان مشركا قبل ذلك، أو من وُلد مجنونا ثم استمر وقال: لا إله إلا الله فإنه لا يحكم له بالإسلام بهٰذه الكلمة، وإنما يكون تبع لأبويه بتفصيل معروف، فالمشرك الذي كان علىٰ الشرك ثم جُنّ وقال: (لا إله إلا الله) في جنونه مائة مرة أو أكثر، بالإجماع عند أولئك المخالفين وعند أهل الحق أنه لا يدخل في الإسلام؛ لأنه تكلم بكلام لم يقصد معناه؛ لأنه لا يعقل المعنىٰ. لهٰذا فالعبرة فيما تعبد فيه من الألفاظ العبرة بالإقرار بالمعنىٰ لا بمجرد اللفظ، وذلك لأنّ المنافقين قالوا هٰذه الكلمة ظاهرا وهم بنص القرآن والسنة هم كفار في الدرك الأسفل من النار، فلم ينفعهم قول: (لا إله إلا الله) لأنهم لم يقصدوا معناها أو لأنهم خالفوا ما دلت عليه.

إذن فهٰذه الكلمة دليلها أنواع من الإجماع هي قوله: (وَالـمُرَادُ مِنْ هٰذه الكَلِمَةِ مَعْنَاها، لَا مُجَرَّدُ لَفْظِها) وهٰذه الإشارة منه رَحِمَهُ اللهُ لأجل أنّ كثيرين قالوا: هؤلاء الذين كفرتموهم أو قلتم هم مشركون يشهدون أو يقولون لا إله إلا الله ويتكلمون بذلك ويذكرون الله في اليوم ألف مرة بـ(لا إله إلا الله)، فكيف تقولون ذلك والنبي ﷺ أمر بالكف علىٰ من قال لا إله إلا الله وقال لخالد: «**قتلته بعد ما قال لا إله إلا الله**»؟ إلىٰ آخر ذلك، فيقال: إنّ قول الكلمة مع مخالفة المعنىٰ هٰذا غير نافع بالإجماع فيما ذكرنا في المنافقين وفي حال من بلغ مجنونًا.

قال: (وَالكُفَّارُ الجُهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهٰذه الكَلِمَةِ هُوَ إِفْرَادُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالتَّعَلُّقِ [به]، وَالكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ وَالبَرَاءَةُ مِنْهُ) المراد بهٰذه الكلمة ثلاثة أشياء في كلمة الشيخ هٰذه:

الأمر الأول: (إِفْرَادُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالتَّعَلُّقِ [به])، وهٰذا مأخوذ من النفي والإثبات بأنّ لا إله إلا الله معناها لا معبود حق إلا الله، لا أحد يستحق العبادة والتعلق والقصد لأجل العبادة إلا الله جل وعلا.

فإذن المراد بهٰذه الكلمة أولا إفراد الله تعالىٰ بالتعلق به؛ يعني حين التعبد.

والثاني: (وَالكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ)، والكفر بما يُعبد من دون الله هٰذا نفهمه من النفي؛ لأن النفي معناه ما جاء في سورة الزخرف في قول الله جل وعلا: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الزخرف]، بضميمة قول الله جل وعلا في سورة الممتحنة عن إبراهيم ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ ﴾، ﴿ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ يعني من المرسلين الذين معه على التوحيد من المرسلين والأنبياء ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ ﴾ كل نبي قال لقومه: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤].

إذن في آية الزخرف قال جل وعلا الزخرف: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾، هٰذه الكلمة قال المفسرون هي كلمة لا إله إلا الله، فتكون كلمة (لا إله إلا الله) معناها ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾، ومعنى البراءة هنا هو ما دلت عليه آية سورة الممتحنة، فشمل ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله؛ الكفر بما يعبد من دون الله وشمل البراءة منه.

ولاحظ تعلّق الكفر والبراءة بما يُعبد وليس بالعابدين؛ لأن الكفر بالعابدين من اللوازم، وليس من معنى الكلمة، والبراءة من العابدين هٰذا من اللوازم وليس من معنى الكلمة.

الكلمة معناها: كلمة التوحيد يشمل الأمور الثلاثة التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا:

إفراد التعلق بالله.

البراءة من كل معبود سوى الله جل وعلا، أو البراءة من كل عبادة لغير الله جل وعلا.

والثالث: الكفر بكل معبود أو بكل عبادة إلا عبادة الله جل وعلا، الكفر بعبادة مَن دون الله جل وعلا، وهو كله راجع للعبادة نفسها، أما العابدون فهٰذا له حكم آخر وتفاصيل أخر.

إذن ظهر لك وجه الحجة من كون هٰذه الثلاثة أشياء التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من معنى الكلمة وهو مراد النبي ﷺ لهٰذه الكلمة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنَّهُ لَـمَّا قَالَ لَهُمْ: قُولُوا: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، قَـالُوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾[ص]) هٰذا ظاهر في أنهم يعبدون آلهة ولا يقرّون بأن العبادة والقصد يتوجه به إلى واحد بل يتوجه به إلى متعدّد، وما بعده واضح حيث قال: (فَإِذا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَّالَ الكُفَّـارِ يَعْرِفُـونَ ذَلِـكَ؛ فَالعَجَـبُ مِمَّـنْ يَدَّعِي الإِسْلامَ وَهُوَ لا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هٰذه الكَلِمَةِ مَا عَرَفَ جُهَّالُ [الكفرة]) إذا كان الكفرة مع علمهم بالمعنى كفروا فكيف يكون حال الذي لا يعلم المعنى أصلا؛ يعني لم يعلم المعنى أصلا ولم يأتِ على باله هو يقع في الشرك مع عدم العلم بالمعنى، لا شك أنه أسوأ حالا من الذي يقع في الشرك مع علمه

بالمعنىٰ، فهٰذا يقع في الشرك وهو غير آمن بالمعنىٰ؛ لأن هٰذا فرط في واجب وهو أن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لا تنفع إلا من علمها فعمل بمقتضاها، وأولئك علموا فخالفوا وهؤلاء المشركون في الأزمنة المتأخرة جهلوا وخالفوا، فقالوا كلمة لم يعلموا معناها فلم تنفعهم من هٰذه الجهة، ثم خالفوها من جهة العمل فلم تنفعهم أيضا من هٰذه الجهة، ولو كان هؤلاء تنفعهم الكلمة لكان المنافقون الذين قالوا: لا إله إلا الله ينفعهم قولها؛ لأنهم يعلمون المعنىٰ وتلفظوا بها ومع ذلك لما أبطنوا الكفر وعملوا به كانوا أشرّ من الكفار.

قال: (بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُروفِها مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ القَلْبِ لِشَيْءٍ مِنْ المَعَاني) وهٰذا فيه إبطال التقليد في التوحيد فإنّ توحيد الله جل وعلا لا يصلُح علىٰ جهة التقليد؛ بل لابد أن يعتقد المرء الحق بدليله مع علمه بمعنىٰ كلمة التوحيد ومعنىٰ ما دلّت عليه، وهٰذا الاعتقاد يكفيه أن يكون في عمره مرة بدليله؛ يعني لو علمه لِحين دخوله في الإسلام، وعلم واستمر علىٰ المقتضىٰ واستمر علىٰ ما دلت عليه، ثم لو سألته نسي ما عرفه واعتقده بدليله فإنه غير مؤاخذ، مثله المسلم الصغير المميِّز فإنه إذا عُلِّمَ هٰذه الكلمة وأُخْبِرَ بمعناها وفهم ذلك وحفظ دليله أو عرف دليله من الكتاب أو من السنة واستمر علىٰ ذلك، فإنه يكفيه لأنه اعتقد الحق واعتقد معنىٰ هٰذه الكلمة بالدليل غير مقلِّدٍ في ذلك مرة في عمره ثم لم يأتِ بناقض لذلك الشيء.

ولهٰذا عندنا في المدارس في الابتدائي يدرَّس الطالب أو الطالبة «ثلاثة الأصول» فيها معنىٰ كلمة التوحيد والدليل عليها، وكذلك أركان الإيمان يعني مسائل القبر الثلاثة المعروفة، والعلماء من قديم جعلوا ذلك للمتعلمين الصغار؛ لأنهم إذا عرفوا ذلك بدليله مرَّة في العمر صار إيمانهم بما دل عليه التوحيد عن دليل لا عن تقليد، ولو نسوا بعد ذلك فإنه لا يؤثر ذلك؛ لأن نسيانُهم ليس من جهة ترك العمل بما دلت عليه، ولكن من جهة نسيان تفسير الذي يُفصح لك به، لكن لو سألته قلت: هل يُدعىٰ غير الله جل وعلا؟ فيقول لا. لأنه علم معنىٰ الكلمة، لو سألته هل يستغاث بغير الله؟ قال: لا، لأنه يعلم معنىٰ الكلمة، بخلاف من خالف المعنىٰ وما دلت عليه بشيء حدث له، يعني تسأله فيجيب بخلاف ما تعلم سابقا هٰذا يكون لابد له من تجديد علم بدليله، حتىٰ يصبح خالصا من التقليد.

المقصود من هٰذا أن التقليد في التوحيد لا يجوز، ومن قلد في التوحيد فإنه لا ينفعه؛ لأن الله جل وعلا لامَ وذمّ أهل الشرك بقولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الزخرف]، وفي الآية الأخرىٰ ﴿مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الزخرف]، فلا بد في التوحيد من دليل ولا ينفع فيه التقليد، وقد أوضحت ذلك مع زيادة بيان وضوابط في «شرح ثلاثة الأصول»؛ لأن هٰذا إنما أتىٰ عَرَضا.

قال: (وَالحَاذِقُ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَاها: لَا يَخْلُقُ وَلا يَرْزُقُ وَلا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلاَّ اللهُ) هٰذا الحاذق من أهل هٰذا الوقت من المشركين -نسأل الله العافية- وما قبله بأزمان، إذا سألته عن كلمة التوحيد يفسرها بالربوبية لماذا؟ لأنه هو الذي درسه في مذهب الأشعرية ومذهب الماتريدية أو مذاهب المتكلمين، معنىٰ كلمة التوحيد عندهم لا قادر علىٰ الاختراع إلا الله، لا رازق إلا الله، لا محيي إلا الله لا مميت إلا الله، هٰذا هو الحاذق المتعلم فيهم، (فلا خَيْرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَعْنىٰ لَا إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ.) ولو كان صاحب عمامة وجُبَّة ولو كان ما كان فإن علمه غير مناسب؛ لأن هٰذه الكلمة هي أساس كل خير، فإذا كان يجهل معناها فإنه لا خير فيه ولو ادّعىٰ فيه الناس ما يدعون.

نقف عند هٰذا ونجيب علىٰ بعض الأسئلة.

[الأسئلة]

سؤال (٢٧): هٰذا يقول: من فسّر كلمة التوحيد بقوله (لا حاكمية إلا لله) متعلقا بقوله تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ﴾[1] وهل هٰذا التفسير مستقيم أم هو غير ذلك نرجو التوضيح؟

الجواب: من فسر كلمة التوحيد بقوله: لا حاكمية إلا لله، ويقول هٰذا هو معناها فهٰذا من جنس قول الخوارج؛ لأنهم هم فسروا التوحيد بتوحيد الحكم لقول الله جل وعلا ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢﴾ [غافر:١٢]، ولقوله جل وعلا: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ﴾.

والحكم يجب إفراد الله جل وعلا به، وهو من مفردات توحيد الإلهية؛ لأنّ الحكم يعني بالشرع الحكم بالقرآن هٰذا تحكيم لله، فهو قصد لله جل وعلا طلبا للحكم، فهو من هٰذه الجهة فيه القصد، قصد القلب والعمل لطلب حكمه فيها.

فمن قال: معنىٰ لا إله إلا الله لا معبود حق إلا الله -كما هو تفسير أهل العلم- فإنه يدخل فيه هٰذا المفرد من المفردات وهو إفراد الله جل وعلا بأنه هو المستحق للتحاكم إليه.

لهٰذا إمام هٰذه الدعوة جعل من أبواب «كتاب التوحيد» أبوابا تخصّ هٰذه المسألة وهي مسألة التحاكم تحليل الحلال وتحريم الحرام وعدم طاعة أحد في تحليل الحرام أو تحريم الحلال في أبواب معروفة.

فالمقصود أنّ تفسير (لا إله إلا الله) بلا حاكمية إلا الله هٰذا من جنس تفاسير المبتدعة؛ لأنّ لا حاكمية مساوية لـ: (لا إلٰه)؛ فيعني أنّ الإله هو الحاكم، وهٰذا غلط لأنّ الإله لا في اللغة ولا في العرف ولا في ما جاء به القرآن أن الإله هو الحاكم، وإنما الإله هو الذي يستحق العبادة، ومن العبادة القصد لأحدٍ لتحكيمه بغير شرع الله أو بشرع الله، إذا قصد أحدا لتحكيمه راضيا بذلك مختارا فإنه قد عبده، وهٰذا

---

(١) سورة: الأنعام، الآية (٥٧)، يوسف، الآية (٤٠)، يوسف، الآية (٦٧).

هناك فرق بين مسألة الحكم والتحكيم، قال جل وعلا في سورة النساء ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾[النساء:٦٠] قال طائفة من أهل العلم قوله هنا: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟﴾ فيه اعتبار الإرادة وذلك أن يتحاكم عن رغبة ورضا بحكم الطاغوت، بخلاف ما لو أُكره عليه أو أُجبر أو أضطر إلىٰ ذلك غير راغب ولا مريد في أشباه هٰذه الحالات.

المقصود من هٰذا أنه يكون عابدًا لغير الله إذا تحاكم راغبًا في ذلك مُعظِّما له كحال العابد المحكم في الله جل وعلا في ذلك، فالحكم لله تبارك وتعالىٰ تحكيم القرآن تحكيم لله، تحكيم السنة تحكيم لله جل وعلا، ولهٰذا لا يطلق الحاكم إلا علىٰ من حكم بشرع الله جل جلاله.

سؤال (٢٨): هٰذا سؤال عرضنا له مرارًا: هل هناك فرق بين أهل الحديث والفرقة الناجية المنصورة، وما حجة من فرق بينهما؟

الجواب: مرّ علينا عدة مرات.

سؤال (٢٩): من وقع في شرك الأولياء، وكان كما ذكرت مصليا عابدا يظن نفسه موحدا مؤمنا، وكان في بلاد علماؤها يلّبسون علىٰ العوام، ولا يبينون أن هٰذا شرك بل يفعلون ما يدل علىٰ إقرارهم علىٰ هٰذا الشرك من شهود الموالد وإقامة الدروس في المساجد التي بها قبور الأولياء فهل يعذر هؤلاء العوام بجهلهم وعدم وجود من يبين لهم؟

الجواب: هٰذه المسألة معروفة بمسألة العذر بالجهل، ونرجئ الكلام عليها إلىٰ مقام آخر إن شاء الله تعالىٰ.

سؤال (٣٠): هناك بعض الناس في بلاد أخرىٰ يأتون إلىٰ بعض الناس يزعمون أنهم أولياء فيطلبون منهم أن يدعوا لهم الله ﷻ فما حكم هٰذا العمل؟

الجواب: إذا أتىٰ إلىٰ ميت؛ ولي أو نبي أو نحو ذلك فطلب منه أن يدعو الله له؛ يعني قال: يا فلان ادعُ الله لي. هٰذا ميت، هٰذا هو معنىٰ الشفاعة، فمعنىٰ طلب الشفاعة من الميت طلب أن يدعو الله له، أن يسأل الله.

فإذن قول القائل للميت: ادعُ الله لي، أو يأتي للنبي ﷺ خارج الحجرة والأسوار ويقول: يا رسول الله ادعُ الله لي أن يرزقني بكذا، ومعنىٰ هٰذا اشفع لي بهٰذا المطلب، لهٰذا معنىٰ ادعُ الله لي اشفع، وحكمها حكم الشفاعة وقد مر معنا في هٰذا الكتاب أنّ أولئك ما قصدوا إلا الشفاعة، وهم حين يتقربون للموتىٰ يريدون في النهاية أن الموتىٰ يشفعون لهم إذا طلبوا ومنهم شيئا.

فيأتي يذبح له ينذر له في المواسم وبين الحين والآخر لظنه أن هٰذا الميت أو هٰذا الولي أو هٰذا النبي أو هٰذا الجني أو إلىٰ آخره يعرفه بأنه يتقرب إليه، فإذا سأله عند حاجته فإنه مباشرة يرفع حاجته ويدعو له ويطلب له ما سأل؛ لأنه يتقرب إليه، فهم ما عبدوا إلا للقربىٰ، ولا ذبحوا ولا نذروا ولا استغاثوا ولا عملوا هٰذه الأشياء بأنواع العبادات إلا لأجل أن يُشفع لهم يعني أن يشفع لهم من سئل.

فإذن من طلب من الميت أن يدعو له هٰذا معناه أنه طلب منه أن يشفع له والشفاعة لا تصلح إلا لله.

سؤال (٣١): هل يصح ما يقال: أنه أشرف من عُبد من دون الله هم الملائكة؟

الجواب: ما لها حاجة العبارة هٰذه أصلا؛ أشرف من عبد من دون الله الملائكة، لا حاجة للعبارة أصلا، والملائكة علىٰ الصحيح يفضُلُهم الأنبياء والمرسلون، فالأنبياء والمرسلون والأولياء أفضل من الملائكة علىٰ الصحيح في هٰذه المسألة.

هٰذه هي المسألة المعروفة بالتفضيل بين الملائكة والبشر، هل البشر أفضل أم الملائكة؟ هناك أقوال فيها، والتحقيق أن صالحي البشر الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين من عباد الله أفضل من الملائكة لأدلة كثيرة في هٰذا المقام، وقد بسطها العلماء في مواطنها.

شيخ الإسلام كان إذا سئل عن هٰذه المسألة يسكت، يقول: كنت أظن أن الكلام فيها محدث وأن السلف سكتوا عنها كنت أسكت عن الكلام فيها كما سكت السلف، حتىٰ وجدت أن الكلام في التفضيل بين الملائكة والبشر سلفيٌّ أثري ثم ساق أقوال الصحابة والتابعين فيما وقف عليه في هٰذه المسألة.

سؤال (٣٢): هل إجابة دعاء من كان يدعو عند القبر فيه ابتلاء لهٰذا الداعي؛ لأنه سوف يظن أن المجيب له صاحب القبر؟

الجواب: هٰذا لاشك والابتلاء وقع في هٰذه المسألة وفي غيرها، فإذا أُجيب دعاء من دعا عند القبر فإنه وقع له هنا المخالفة وابتلي بسببها بأنه لو أجيب لظن أن سبب الإجابة صاحب القبر أو بركة المكان، وهٰذا ابتلاء وشبهة وقع فيها لأنه فرّط في الحق، وكما ذكرتُ لك أنه يكون الإجابة لسِرٍّ؛ لسبب تعلّق بدعائه، وهو يظن أن السبب هو القبر، هٰذه المسألة مذكورة في «شرح الطحاوية» في أواخرها.

سؤال (٣٣): ذكرت أن المنافقين قالوا: (لا إله إلا الله) مع أنها لا تقبل منهم، ولكن يمكن أن يجيب عليها فيقول لا تقل له إنه كافر في الدنيا بل نقول: إنه مسلم ونرد علمه إلىٰ الله، هؤلاء الذين يصلون إلىٰ القبر ويعبدون عبد القادر مثلا لا نطلق عليهم لفظ الكفار بل هم مسلمون، ونرد أمرهم إلىٰ الله؟

الجواب: هٰذا يعطينا دخول في بحث نريد أن تتنبهوا له فيما تسمعون أو تقرؤون، يكون هناك تنظير شيء بشيء لمعنىٰ من المعاني أو لقدر من الاحتجاج، فلا توسّع أنت ذاك إلىٰ شيء أوسع مما كان

الكلام فيه، لأن هٰذا يعطيك لبسا في الفهم وأيضا يوقعك في إشكالات علمية دائما، فالتنظير لا يكون دائما علىٰ جهة التكامل أو التماثل ما بين الأول والثاني، وإنما قد يكون لجهة من الجهات.

مثل ما ذكرنا في وُرود الشبه بين المنافقين وبين من يقول: (لا إله إلا الله) ويريد الاكتفاء بلفظها، وجه المشابهة قلنا إنه بالإجماع المنافق لم تُفده كلمة (لا إله إلا الله)، لم تفده في الظاهر أو في الباطن؟ الكلام معروف أنها لم تفده في الباطن، لكن هي لم تفده، ولو أفادته لنجا بها من النار، لكن لم تفده، كذلك من قالها ولم يعلم معناها فإنها لا تفيده من باب أولىٰ؛ لأنه اشترك مع المنافق في القول، والمنافق زاد عليه في العلم، وذاك جهل فهٰذا قال لفظا ظاهرا وجهل المعنىٰ، وذاك قال لفظا وعلم المعنىٰ ومع ذلك في الدرك الأسفل من النار.

لا يعني هٰذا أن ترتب جميع اللوازم علىٰ هٰذا التنظير من أن تقول أن هؤلاء مسلمون ظاهرا فهل نحكم لهؤلاء بالإسلام الظاهر إلىٰ أشباه هٰذه الكلمة وإنما القصد أن نمثل للقول بالقول.

سؤال (٣٤): ما معنىٰ البراءة والكفر بما عُبد من دون الله؟

الجواب: ذكرنا هٰذا.

سؤال (٣٥): هل إجابة الله دعاء الحي من صاحب القبر من الاستدراج؟

الجواب: لا، هو من الفتنة له.

سؤال (٣٦): نسمع في كتب العقيدة كثيرا ما يُكررون قولهم هٰذه المسألة شرك أصغر لأنها اعتقاد السببية فيما لم يجعله الله سببا لا قدرا ولا شرعا كحال في التمائم والطيرة، فهل هٰذه الحالة مطردة؟

الجواب: هٰذه مسألة طويلة والجواب عليها يحتاج علىٰ وقت، لكن تلخيصها أن في مسائل الشرك الأصغر نُرجع كثيرا ما يُحكم عليه بأنه شرك أصغر بالتعلق بالأسباب.

الأسباب **منها** شيء أذن الله جل وعلا به، **ومنها** شيء لم يأذن الله به شرعا، هٰذا واحد.

والأسباب **منها** ما جعله الله جل وعلا كونا وقدرا في كونه وما جعل سنته عليه –الأشياء–، ما جعله يعطي المسبب؛ ينتج النتيجة، **ومنها** ما جعله لا ينتج النتيجة التي يظنها الظان.

مثلا الماء سبب لإزالة العطش أليس كذلك؟ الماء الحلو، لكن الماء المالح لم يجعله الله سببا كونيا لإزالة العطش، وإنما جعل الله جل وعلا الماء العذب هو سبب إزالة العطش.

الماء والنار، الماء تطفئ النار، فإذا احتجت إلىٰ إطفاء النار لا تأتي بنار أخرىٰ وإنما تأتي بماء.

يعني جعل الله جل وعلا لكل شيء سببا، وجعل هٰذه الأسباب تُنتج المسبَّبات، فمن جعل شيئا من الأشياء سببا لشيء آخر لم يكن في الشرع سببا له، فهٰذا مشرك الشرك الأصغر، بمعنىٰ في الشرع ليس هٰذا السبب جائزا أو لم يُجعل في الشرع التعلق بهٰذا السبب أو استعماله جائزا، فإنه يكون ذلك منه تعلّق

بسبب ليس بسبب شرعي، فيكون شركا أصغر، مع ضميمة الشيء الثاني وهو أن يكون هٰذا السبب لا ينتج المسبب كونا؛ لأن الأسباب قد تكون تنتج المسببات قدَرا ولكنها ممنوعة شرعا، مثل الشفاء أو الاستشفاء بالمحرمات يشرب الخمر فيتداوىٰ بها، يسمع موسيقىٰ فينتفع بها في الدواء، هٰذه أسباب كونية قد تكون تؤثر في إنتاج مسبَّباتها، لكنها شرعا ممنوعة.

فمن استعمل سببا كونيا في إنتاج المسبَّب -الذي هو النتيجة- فيما نعلمه كونا أنه ينتج هٰذا السبب، نقول: هٰذا لا يجوز شرعا وليس بشرك.

ولكن من جعل سببا ليس بسبب كوني ولا شرعي وتعلق به فإنه يكون مشركا الشرك الأصغر.

نرجع في تلخيص هٰذا أن الأسباب منها ما ينتج المسبب، ومنها ما لا ينتجه.

فإذا كان ينتج المسبب كونا يعني فيما تعارفه الناس فتنظر، هل أباحته الشريعة أم لم تبحه؟

فإن أباحته الشريعة فهٰذا جائز استعماله لأنه سبب شرعي وقدري، هٰذا نوع.

إذا لم تجزه الشريعة فيكون سببا كونيا مثل التداوي بالمحرمات، ولكنه ليس بسبب شرعي فهٰذا نقول غير جائز.

والحالة الثالثة ما ليس بسبب لا شرعي ولا كوني فإن هٰذا يكون التعلق به شركا أصغر؛ مثل تعليق خيط، يعلق خيط ويتعلق قلبه به فيدفع عنه العين، ما علاقة خيط من حبال أو من قطن ما علاقتها بدفع العين؟ هٰذا ليس في الكون ما يثبت السببية، وليس في الشرع أيضا ما يجعل هٰذا السبب مأذونا به، فيكون التعلق به شركا. كذلك التميمة، تميمة طلاسم أو تميمة بها أشياء أو تميمة وضع خرز أو تميمة وضع جلد أو إلىٰ آخره، هل هٰذا السبب ينتج المسبب قدرا لا ينتجه، وهو غير مأذون به شرعا، فإذن اجتمع فيه أنه ليس بمأذون به شرعا وأنه لا ينتج المسبَّب قَدَرا فصار التعلق به شركا أصغر.

يوضّحه التميمة من القرآن، تميمة من القرآن هل هي شرك؟ ليست بشرك مع أنها تميمة، لكن اختلف العلماء هل يجوز تعليق التميمة من القرآن أم لا؟ وبالاتفاق لا تسمىٰ شركا لأنّ التعلق بالقرآن من جهة كونه شفاء سبب كوني وسبب شرعي -صحيح؟- التعلق بالقرآن، لكن تعليق القرآن وإن كان سببا كونيا لكنه ليس بسبب شرعي، فلهٰذا لا يصح أن يطلق علىٰ تعليق التمائم من القرآن أنها شرك، ولكن نقول الصحيح أنها لا تجوز، وهٰذه القاعدة لها تفاصيل وهي مذكورة في أول كتاب التوحيد...